■ تقارير علمية ■

اجتماع خبراء بشأن :
التنمية البشرية فى الوطن العربى
القاهرة (٦ - ٩ ديسمبر ١٩٩٣)

عرض : أحمد حسن ابراهيم (*)

عقد بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة فى الفترة ٦-٩ ديسمبر ١٩٩٣ اجتماع خبراء بشأن " التنمية البشرية فى الوطن العربى " دعت اليه اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا (الاسكوا) ، وجامعة الدول العربية، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى (المقر الرئيسى). وتحدد لأعمال الاجتماع ثلاثة محاور رئيسية هى :

١) مراجعة مفهوم التنمية البشرية وطرق قياسها.

٢) مناقشة بعض التجارب الدولية فى التنمية البشرية للاسترشاد.

٣) مراجعة مسيرة التنمية البشرية فى الوطن العربى بهدف تعظيم إنجازاتهاالإيجابية والحد من إخفاقاتها.

شارك فى الإجتماع إلى جانب ممثلى الهيئات الداعية إلى عقده ومنظماتها وإداراتها المتخصصة خبراء من مؤسسات وهيئات وطنية وإقليمية فى ثمانية أقطار عربية. وناقش المشاركون فى الاجتماع ، فى جلسات صباحية ومسائية على مدى ثلاثة أيام، عشرة بحوث تتناول جوانب مختلفة لقضية التنمية البشرية بصفة عامة ، وفى الوطن العربى بصفة خاصة .

وخصص اليوم الرابع من أيام انعقاد الاجتماع لمناقشات مفتوحة حول مائدة مستديرة أعقبها مناقشة مشروع التقرير حول أعمال الاجتماع .

(*) أ.د. أحمد حسن ابراهيم : مستشار بمركز التخطيط العام - معهد التخطيط القومى .

افتتاحيات

شهدت جلسة افتتاح اجتماع الخبراء ، كلمات افتتاحية ، ألقاها ممثلو الهيئات الداعية إلى عقده ، أبرزت فى مجموعها وفى تكاملها، نقاطا هامة ربما يكون من بين أهمها مايلى :

١) إن النمو الاقتصادى ، وإن كان شرطا ضروريا لتحقيق التنمية ، لا يكفى فى حد ذاته وبمفرده لتحقيق تنمية بشرية . وأنه لابد من أن يؤدى إلى توسيع نطاق انتشار الفقر وازدياد بؤس وفقر الفقراء مالم يوجه إلى ترقية حياة الإنسان ، صانع هذا النمو، وتحقيق رفاهته .

٢) إن البعد البشرى للتنمية لم يحظ فى معظم الأحيان بما يستحق من اهتمام، وإن الاهتمام بالنمو الاقتصادى قد طغى على غيره من الاهتمامات . ولقد شهد عقد الثمانينات بصفة خاصة تركيزا شديدا، ومبالغا فيه ، على النمو الاقتصادى، أفضى بهذا العقد إلى أن يوصف بـ "عقد التنمية الضائع" .

٣) تبين مراجعة مسيرة التنمية منذ نهاية الستينات أن البرامج والصيغ التى طرحتها مختلف المؤسسات الدولية ، لتحقيق أهداف تندرج فى إطار التنمية البشرية، قد فشلت وأخفقت فى تحقيق أهدافها لأنها كانت وصفات جاهزة توصف للجميع بغض النظر عن التباينات فى الواقع المحلى للبيئات المختلفة التى توجه إليها هذه البرامج.

٤) أن المشاركة الشعبية الكاملة فى صنع التنمية شرط لابد منه لتحقيق تنمية حقيقية غير معيبة ولا منقوصة ، وأن غياب مشاركة الجماهير ، من خلال العمليات والمؤسسات الديمقراطية ، فى إتخاذ القرارات المتعلقة بالتنمية وفى صياغة وتنفيذ برامجها يهدرالتنمية البشرية تماما مثلما يهدرها حرمان هذه الجماهير من حقها فى التمتع بثمار التنمية.

٥) ان تقرير برنامج الأمم المتحدة الانمائى عن التنمية البشرية، بتأكيده على أن التنمية هى عملية صنع القدرات البشرية وعملية الانتفاع بها فى آن واحد، قد أعاد التوزان إلى مفهوم عملية التنمية باعتبار الإنسان هدفا للتنمية وليس مجرد وسيلة أو أداة لتحقيقها .

٦) أن هناك ضرورة ملحة للاهتمام بالجوانب والأبعاد الثقافيـــة والحضارية للتنمية البشرية، وبالآثار السلبية للتبعية للخارج عليها، وكذا البعد المجتمعى لها وليس بعدها الفردى فقط.

٧) أن المؤشرات الكمية لا تكفى وحدها لاعطاء صورة كافية وكاملة عن حالة التنمية البشرية ، وأن الحصول على صورة كاملة لها يستلزم استخدام مؤشرات أخرى تكمل دور المؤشرات الكمية .

الروابط الفكرية العربية والإسلامية لمفهوم التنمية البشرية

انصب اهتمام الباحث (دكتور محمد عابد الجابرى) على البحث فى النصوص الإسلامية (القرآن الكريم والحديث الشريف) وفى أعمال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن جذور إسلامية للمفهوم المعاصر للتنمية البشرية . ومن قراءته لهذه النصوص ، ولتفسيرات المفسرين والفقهاء، ومتابعته لأعمال الصحابة يخلص الباحث إلى أن حقوق الإنسان فى الإسلام تشمل "جميع الأمور المادية والمعنوية التى تجب له بموجب تكريم الله له وتفضيله إياه على سائر خلقه" ، ويقسم هذه الحقوق إلى :

١) حقوق عامة أساسية للإنسان على إطلاقه لمجرد كونه إنسانا وتشمل: حق الحياة ، وحق التمتع بالحياة ، والحق فى حرية الاعتقاد ، والحق فى المعرفة ، والحق فى الاختلاف ، والحق فى الشورى ، والحق فى العدل، والحق فى المساواة .

٢) حقوق خاصة أساسية ، وهى حقوق لفئات بعينها من بنى البشر مثل حقوق المستضعفين (الفقراء) وحقوق المرأة، وحقوق غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، ... الخ .

وفى تعقيبه على البحث انصرف اهتمام المستشار طارق البشرى إلى تفنيد ما ذهب اليه الباحث من قول بتاريخية النصوص الاسلامية بما يعنيه ذلك من الظروف والمناسبات التى وردت فيها هذه النصوص (أسباب النزول) ومن الأهداف العامة التى ترمى إلى تحقيقها (مقاصد الشرع) . وينتهى المعقب إلى تأكيد "أن النصوص حاكمة ، وأنها ليست خاضعة فى نشوئها وبقائها لأوضاع الظروف التاريخية".

مراجعة نقدية لمفهوم التنمية البشرية

يتابع الباحث (د. جورج القصيفى) فى بحثه تطور وضع البعد البشرى وموقعه فى عملية التنمية من خلال تطور مفهوم ومضمون التنمية البشرية فى أدبيات الأمم المتحدة، وفى برنامج الأمم المتحدة الإنمائى بصفة خاصة . ويخلص الباحث ، ضمن نتائج أخرى، إلى أن تطور مفهوم ومضمون

التنمية البشرية يكشف عن إغفال الجوانب الثقافية والحضارية لهذه التنمية مما ترتب عليه إغفال الخصوصية الثقافية والحضارية للمجتمعات المختلفة عند اختيار أنماط التنمية الملائمة لها واخضاعها لانماط تنمية موحدة تهدر قيمتها الثقافية والحضارية وتفرض عليها مفاهيم ثقافية خارجية وأنماط استهلاك أجنبية غريبة عنها.

وفى تعقيب مستفيض على البحث أثار الأستاذ محمد الأمين فارس عددا كبيرا من الملاحظات الهامة، من بينها الإشارة إلى إزدياد التزام الأقطار العربية بسياسات التثبيت والتكيف الهيكلى التى يفرضها صندوق النقد والبنك الدوليان ، وما يترتب على تنفيذ هذه السياسات من آثار متباينة ومدمرة على التنمية البشرية وكذا الإشارة إلى إغفال تقرير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية للجوانب الكيفية وللهدر فى الموارد البشرية المتمثل فى البطالة.

قياس التنمية البشرية - مراجعة نقدية

يناقش الباحث (د. عثمان محمد عثمان) المؤشرات المختلفة للتنمية ومدى كفاءتها فى قياس التنمية البشرية. ويخلص إلى عدد كبير من الملاحظات والنتائج الهامة، من بينها :صعوبة تناول المؤشرات والقياس بمعزل عن المفهوم والتعريف ، وأن نقطة البدء فى تقييم عملية التنمية هى تحديد هدف أو أهداف هذه التنمية، ومن ثم فلابد من أن تتنوع مؤشرات وأدوات قياس التنمية بتنوع وتعدد أهدافها والمعنى المراد بها والمفهوم الذى تنطوى عليه.

وفى تعقيبه على البحث أثار د. على نصار عددا من الملاحظات الهامة، منها على سبيل المثال أن مفهوم التنمية البشرية يمكن أن يكون أوسع مما تتضمنه التقارير التى تصدرها هيئات دولية، ليتضمن بدائل ذاتية، عن هذه التنمية ، وهو ماياندرج على أساليب القياس. ولقد آن الأوان لعمل أصيل فى اتجاه استخدام النمذجة لحل المشكلات المنهجية المتصلة بقياس مجمع لدليل التنمية البشرية.

أثر برامج التثبيت والتكيف الهيكلى فى الوطن العربى وانعكاساتها على أوضاع التنمية البشرية

يسعى الباحث (د. رمزى زكى) إلى تعقب الآثار الحالية والمتوقعة لبرامج التثبيت والتكيف

الهيكلى على أوضاع البشر فى أقطار الوطن العربى . ومن ثم فإنه يناقش أوضاع الاقتصادات العربية فى فترة ما يسمى بعصر النفط (١٩٧٣ - بداية الثمانينات) وأزمتها التى مهدت الطريق ابتداء من عام ١٩٨٢ أمام برامج التثبيت والتكيف الهيكلى التى يضعها صندوق النقد والبنك الدوليان بما تحويه من سياسات ذات طبيعة انكماشية تنحاز إلى مصلحة رأس المال وترمى إلى إضعاف قوة الدولة. ويجمل الباحث بعضا من الآثار السلبية لهذه البرامج على التنمية البشرية فى: تدهور أوضاع الفقراء ومحدودى الدخل ، وازدياد معدلات البطالة وهدر قوة العمل البشرى ، وتردى حالة إشباع الحاجات الأساسية بمعناها الضيق .

وفى تعقيبه على البحث أشار د. نجيب عيسى ، ضمن ما أشار اليه، إلى أن أنماط الانتاج والتوزيع التى سادت فى الأقطار العربية فى العقدين الماضيين كانت من أهم الأسباب التى فوتت على العرب فرصة تحقيق تنمية تمكنهم من تضييق الفوارق بينهم وبين البلدان المتقدمة.

التنمية البشرية وهدر الموارد والتربيع المتزايد للاقتصاد العربى

يعدد الباحث (د. خالد محمد خالد) مظاهر الهدر فى موارد الوطن العربى ، فيشير إلى ارتفاع نسبة البطالة السافرة واتساع نطاق البطالة المقنعة، وهجرة القوى العاملة العربية عالية المهارة والتعليم كمظهر لهدر الموارد البشرية . ويضيف إلى ذلك مظاهر أخرى للهدر مثل تلوث البيئة وإستراتيجية إحلال الواردات، وانعدام التنسيق بين الأقطار العربية، وتشويه الأنماط المحصولية والتوسع فى إستخدام الآلات الميكانيكية فى الزراعة العربية، والتصنيع على أساس قاعدة "تسليم المفتاح" ....الخ.

وفى تعقيبه على البحث أثار د. جلال أمين عددا كبيرا من ملاحظات هامة، من بينها على سبيل المثال ، أن اعتبار البشر موردا إنما ينطوى على نظرة قاهرة للإنسان تضعه على نفس المستوى مع الأرض ورأس المال ، والنزول بالإنسان إلى مستوى يكون فيه سلعة خطأ فادح وقع فيه الاقتصاد والاقتصاديون . ومن بين ما أشار اليه أيضا أن برامج التثبيت والتكيف الهيكلى تزيد من هدر البشر فى صورة الاعتداء على انسانية الانسان.

محددات التنمية البشرية فى البلدان المصنعة حديثا

(حالة كوريا الجنوبية)

يلخص الباحث (د. اسماعيل صبرى عبد الله) أهم سمات وملامح التنمية البشرية فى تجربة كوريا الجنوبية فى التقدم الشديد فى الأداء التعليمى الذى كان العامل الحاسم فى تقدم كوريا الجنوبية والتخلف الشديد فيما يختص بحقوق الانسان . ويقارن بين نسب الاستيعاب شديدة الارتفاع فى مراحل التعليم المختلفة فى كوريا الجنوبية ونسبه فى مصر . ويشير، من الناحية الأخرى ، إلى ما اتسمت به تجربة كوريا الجنوبية من تجاوز لحقوق الإنسان ومن كبت شديد للحريات السياسية والنقابية.

وفى تعقيبها على الباحث تورد د. سلوى سليمان عددا من الملاحظات الهامة ، من بينها: أن ما يتضمنه البحث من أرقام عن التعليم فى كوريا الجنوبية يدحض ما يذهب اليه البعض فى مصر من تحميل التعليم ، والتعليم العالى بالذات ، المسئولية عن انتشار البطالة بين خريجى الجامعات ويبين أن انتشار البطالة بين هؤلاء الخريجين لايرجع "فى واقع الأمر إلى زيادة أعدادهم ، وإنما إلى تواضع الأعداد المتاحة لهم من فرص العمل ، وإلى أوجه القصور فى نوعية التعليم الجامعى ذاته".

التنمية البشرية : التجربة الاسكندنافية

يبرز الباحث (شئين كوهنل الأستاذ بكلية السياسات المقارنة بجامعة برجن بالنرويج) أهم ملامح تجربة البلدان الاسكندنافية فى التنمية البشرية من خلال الاجابة على عدد من الاسئلة يطرحها فى بداية بحثه ويحدد الباحث أهم هذه الملامح فى الدور التاريخى الفعال للدولة ومسئوليتها عن حماية الحقوق الاجتماعية، ووجود منظمات قوية نسبيا فى سوق العمل ، وتحقيق أعلى معدلات لتشغيل الإناث بين بلدان منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية وتأكيد دعم المساواة بين الجنسين فى الأمور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفى تعقيبها على البحث انتقدت د.نبيلة حمزة إغفال الباحث الجوانب السلبية فى التجربة الاسكندنافية،وأولت وضع المرأة فى هذه التجربة اهتماما متميزا خلصت منه إلى أن تدنى مستوى تعليم المرأة العربية يعد من أبرز مظاهر تخلف الوطن العربى ومن أخطرها على مستقبل التنمية فى أقطاره .

بعض المتغيرات الاجتماعية المؤثرة فى العلاقات بين التعليم والتنمية البشرية فى الوطن العربى

ينصب اهتمام الباحث (د. عبد الباسط عبد المعطى)على محاولة التعرف على دور بعض المتغيرات الاجتماعية فى صياغة أنماط العلاقة بين التعليم والتنمية مع التركيز بصفة خاصة على العلاقة بين التعليم والعمل باعتبارهما من الأبعاد الهامة للتنمية.

وفى تعقيبه على البحث يطرح د. حامد عمار عددا كبيرا من الأفكار والملاحظات الهامة يبدأها بارساء قاعدة أن كلا من التعليم والعمل "إنسانيا" حق وحاجة ، وأن كلا منهما "إجتماعيا" واجب ووسيلة، وبهما يتحقق الوجود والصيرورة للإنسان فى المجتمع، فكرا وفعلا وتواصلا ومشاركة. ومن خلالهما تتحقق إمكانات البقاء والنماء للمجتمع فى داخله وفى تعامله مع المجتمعات الأخرى".

التنمية البشرية والأطر المؤسسية الحكومية والأهلية وتحفيز المشاركة الشعبية

يركز الباحث (د. على أومليل) بحثه على علاقة الديمقراطية بالتنمية. ويرى فيما يختص بما يجب أن تكون عليه التنمية الآن أن هناك "إرتباط تلازم" بين التنمية والديمقراطية. أما فيما يختص بما كان منذ أواخر الخمسينات ولفترة طويلة فإن نموذج التنمية الذى طرح فى العالم الثالث منذ ذلك الحين لم ير فى الديمقراطية شرطا لازما للتنمية بسبب الخلط بين مفهوم النمو الاقتصادى الذى ساد لفترة طويلة ، ناهيك عن أن هذا النموذج جاء نتاجا لـ "تنظيرات لاحقة لتجربة تاريخية غربية".

وفى تعقيبها على البحث أثارت د. إلهام كلاب ملاحظات هامة من بينها: أن الديمقراطية فى العالم العربى مفارقة سياسية متواصلة من حيث أنها تتأرجح بين الأشكال الخارجية ذات الصبغة الديمقراطية "والمحتوى القبلى العائلى الدينى" الذى يجردها من قدرتها على تحقيق وتطوير أية تنمية، ومن حيث أنها تأخذ بوسائلها دون أن تؤمن بما يترتب على استخدام هذه الوسائل من نتائج.

التنمية البشرية من المنظور القومى

يطرح الباحث (د. محمد محمود الامام) فى بحثه عددا هائلا من الأفكار والآراء الهامة من بينها على سبيل المثال : أن أهمية البعد القومى للعمل العربى تكمن فى "مضمونه المستقبلى الذى

يجعل الإطار القومى نطاقا طبيعيا للكيان العربى الكبير، القادر على التطور والاستمرار" . وأن هناك حاجة ماسة إلى جهود قومية لتحقيق "الأمن الثقافى فى مواجهة الاستلاب الحضارى والعدوان الثقافى اللذين تتزايد مخاطرهما فى ظل الموجة الثالثة التى يمر بها العالم" . وأنه لابد من أن تكون المنافع المتبادلة " هى الأساس الذى يحدد أبعاد التكامل الاقليمى ومدى تقبل الأطراف فيه لما يتطلبه من تضحيات أو ما يفرضه من قيود على عمليات صنع القرار على المستويات القطرية" .

وفى تعقيبه على البحث أورد د. باسل البستانى عددا من الملاحظات الهامة ، من بينها: أن تجربة التنمية العربية تميزت بعمق اختلالاتها ومن ثم بخطورة انعكاساتها على مستقبل التنمية على الصعيد القومى، كما تميزت بشدة "هيمنة العوامل السياسية على القرارات الاقتصادية والاجتماعية" وهى إلى جانب ذلك تكشف عن "تناقض عضوى بين القطرية والقومية ، فالسيادة القطرية قد حاصرت فاعلية الحركة القومية" مما ترتب عليه وضعهما معا فى دوامة من الاختلالات لاسبيل إلى الخروج منها إلا بزوال هذا التناقض.

مناقشات وتعقيبات المشاركين

حفلت جلسات عمل اجتماع الخبراء بمشاركة واسعة ثرية من جانب المشاركين برز خلالها قدر كبير شديد التنوع من الأفكار والآراء والملاحظات الهامة ، زاده ثراء وعمقا ما طرحه الخبراء من أفكار وآراء حول المائدة المستديرة التى تحلقوا حولها فى آخر جلسات عمل الاجتماع . ويضيق الحيز المتاح لهذا العرض عن الإشارة إلى أقل القليل من تلك الآراء والأفكار والملاحظات . ولذلك سنكتفى بذكر شذرات منها فيما يلى :

١) التنمية البشرية محاولة للدخول إلى التاريخ ، والدخول إلى التاريخ يعنى التفاهم مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية لا بالتعايش معها وإنما بتجاوزها وتطويعها للاستجابة لاحتياجات الإنسان بأبعادها المختلفة .

٢) التبعية الثقافية هى أشد التبعيات خطرا على الإطلاق لأنها تسلب الانسان العربى قدرته على المساهمة فى صنع الحضارة. والاحتفاظ بالهوية العربية يحتم الاهتمام بالتنمية الثقافية.

٣) التنمية البشرية تتجه إلى الانسان قيمة وعقلا وجسدا ووجدانا . وغير ذلك من القدرات التى يكتسبها الانسان وتتراكم كرصيد لتنميته ، من القدرات التى تتكون كرصيد لتنمية الإنسان.

٤) ضرورة ان يتيح المجتمع لأفراده قدرا من المشاركة المثلثة ..المشاركة فى اتخاذ القرار (فى سلطة الحكم) وفى القدرة على تداول سلطة الحكم ، والمشاركة فى الجهد والعمل والفعل المترتب على اتخاذ القرار، والمشاركة فى ثمار هذا الجهد وثمار هذا القرار.

٥) مؤشر التنمية البشرية المستخدم فى الوقت الحاضر جاء من بلدان متقدمة، ومن ثم فهو يعكس نمط الحياة فيها ، ولايعكس خصائص البلدان النامية.

٦) النموذج الغربى للتنمية ليس ناجحا لا فى الغرب ولا فى غير الغرب ، وعدم النقل عن الغرب يتطلب توفر القدرة على امتلاك الارادة.

٧) المشاركة الشعبية لاتتحقق إلا بوجود منظمات المجتمع المدنى التى تتيح للأفراد والجماعات والفئات المختلفة المشاركة فى تحديد سلم الأولويات والمشاركة فى التنفيذ وفى جنى الثمار. ولن تكون منظمات المجتمع المدنى فاعلة إلا فى وجود دولة قوية. وهذا يعنى دولة ديمقراطية قوية.

٨) حلول مشاكل الوطن العربى تأتى من داخله ومن داخل أقطاره وليس من خارجها.

٩) عدم صحة القول بأن الآثار السلبية لتنفيذ برامج التثبيت والتكيف الهيكلى آثار مؤقتة أو قصيرة المدى .

١٠) التنمية هى أفضل علاج للمشكلة السكانية، والاعتماد على الذات أهم الشروط لنجاح التنمية.

١١) عدم وجود شئ فى التنمية اسمه نموذج فالتاريخ لا يكرر نفسه، والتقدم هو نتيجة ابداع وليس نتيجة محاكاه .والنموذج والنمو، مودة يبتكرها أساتذة فى الغرب للضحك على البلدان النامية.

١٢) الدولة القوية هى الدولة القادرة على تحمل المسئولية الملقاة عليها وليست الدولة المتسلطة .

١٣) البشر هم مورد العرب الوحيد، فالبترول مورد يسيطر عليه كارتل المشترين ، ولذلك لا ينبغى على العرب أن يتعلقوا بأوهام البترول ، وإذا أرادوا المستقبل فليركزوا اهتمامهم على الانسان.

١٤) التأكيد على أهمية العمل العربى المشترك وعلى أهمية التمسك بالقومية العربية باعتبارها طوق النجاة للأمة العربية ككل ولكل قطر من أقطارها.

١٥) أمريكا تدفع الشرق أوسطية لتجعل من إسرائيل رأس حربة اقتصادية لها في الوطن العربى .

١٦) خطورة ما ورد فى تقرير الأمم المتحدة الثالث عن التنمية البشرية من أن الأمن لم يعد أمن دول وإنما هو أمن أفراد. وهذه بادرة سيئة جدا من التقرير ، وتمثل خطرا على أمن العرب .

١٧) وجود علاقة جدلية بين التنمية والديمقراطية ، فلا تنمية بدون ديمقراطية، ولا ديمقراطية متواصلة بدون تنمية .

حلقة اقليمية
للتدريب على تحليل السياسات الزراعية

تعقد بمقر معهد التخطيط القومى بالقاهرة وبالاشتراك مع منظمة الاغذية والزراعة FAO الحلقة الاقليمية لتدريب المتدربين على تحليل السياسات الزراعية وذلك فى الفترة من ١١/٦ - ١٩٩٤/١١/١٧

لمزيد من التفاصيل يرجى الاتصال بمعهد التخطيط القومى